مجلة البحث العلمي في الآداب
(مجلة علمية محكمة)
(ISSN2356-8321) (Print)
(ISSN2356-833X) (Online)
https://jssa.journals.ekb.eg/

إسهام الأرشيف المصرى للحياة والمأثورات الشعبية فى إعادة إنتاج التراث الشعبى دراسة تحليلية لبعض عناصر التراث الثقافى غير المادى

إيمان محمود محمد عيسى

قسم الاجتماع – شعبة الأنثروبولوجيا والفولكلور، كلية البنات، جامعة عين شمس

emanessa890@gamil.com

تاريخ استقبال البحث: 2020/6/27
تاريخ قبول النشر: 2020/8/19

المستخلص :

في ظل المحاولات العديدة لإنشاء أرشيف للفولكلور المصري، والتي ارتبطت بتجربة كلاً من رشدي صالح وعبد الحميد يونس، فقد اهتم رشدي صالح منذ إشرافه على مركز دراسات الفنون الشعبية بالقاهرة عام 1958م بتقديم رؤية علمية، ولم تكتمل هذه الفكرة، وغيرها من المحاولات التي لم تكتمل.
استطاع أسعد نديم وأحمد مرسي العمل على إنشاء أرشيف للفولكلور المصري قائم على أسس علمية ومنهجية وتم تنفيذ المشروع ولاقى نجاح هائل منذ بدايته في عام 2007 حتى الآن عام 2020م، وما زال العمل مستمر به.
وفي إطار ذلك حاول البحث الراهن تناول تجربة مشروع الأرشيف المصرى للحياة والمأثورات الشعبية من خلال دراسة تقويمية للمشروع حيث تناول الجزء الأول الشق المؤسسي للمشروع وتناول الجزء الثاني المادة التراثية التي تم جمعها من الميدان مع إتخاذ موضوع الخصوبة والإنجاب في المعتقد الشعبي نموذجًا للجمع الميداني.
ويُعد هذا البحث جزءًا من رسالة دكتوراه بعنوان: الخصوبة والإنجاب في المعتقد الشعبي، دراسة تقويمية لمشروع توثيق وتنمية المأثورات الشعبية، ويتناول البحث الراهن إسهام الأرشيف فى إعادة إنتاج التراث الشعبى من خلال عدة قنوات هى بمثابة آليات لإعادة إنتاج التراث الشعبى وهى على التوالى: مجموعات التراث الشعبي ، العناصر الشعبية المادية، ووسائل الاتصال الجماهيري ، واستلهام الفن الشعبي.

الكلمات المفتاحية: أرشيف – إعادة إنتاج – استلهام – تراث شعبي.

المقدمة

من الشائع في البحوث والدراسات التي تبنت مفهوم إعادة إنتاج التراث التركيز على ثلاث عمليات رئيسية هي التواتر أو التناقل، وعملية الاستعادة، وعملية الإضافة (بالاستعارة أو بالإبداع)، وهي أساس موضوع إعادة إنتاج التراث.

إلا أن هناك وجهة نظر أخرى ترى: أنه من الضروري الإنتباه إلى دور بعض الفئات والمهن في إعادة إنتاج التراث من زاوية دعمه واستمراره فهناك بعض النظم أو العمليات الاجتماعية، أو المستجدات الكبرى التي تسهم بدور فاعل ومؤثر في عملية إعادة إنتاج التراث ومنها التعليم الجماهيري وعلاقته بالتراث، والتجنيد الإجباري كقناة من قنوات إعادة إنتاج التراث، ووسائل الاتصال الجماهيري التي تعيد إنتاج التراث، ودور مجموعات التراث الشعبي في عملية إعادة إنتاج التراث، واستلهام الفنون الشعبية في إبداع فن جديد بوصفها شكلاً من أشكال إعادة الإنتاج. (محمد الجوهري، 2010، 328 : 329).

وانطلاقًا مما سبق يهدف هذا البحث لتوضيح دور الأرشيف المصري فى إعادة إنتاج التراث الشعبي وتداوله ليس بين طبقة معينة من الناس أو جماعة محدودة ولكنه على نطاق واسع تطلع عليه وتراه كل فئات وطبقات المجتمع، ويظل مع ذلك محتفظًا بخصوصيته في التطبيق والممارسة بين جماعة أو فئة أو طبقة بعينها تتوارثه وتحتضنه وتمارسه وتمنحه قوة الاستمرار والبقاء، كما يتعرض البحث أيضًا لعوامل القوة والضعف وإمكانية تقويم جوانب الضعف في دور الأرشيف المصرى للحياة والمأثورات الشعبية فى إعادة إنتاج التراث الشعبي.

ويُعد هذا البحث جزء من رسالة دكتوراة بعنوان (الخصوبة والإنجاب في المعتقد الشعبي، دراسة تقويمية لمشروع توثيق وتنمية المأثورات الشعبية). وتسعى هذه الرسالة إلى توثيق مشروع (توثيق وتنمية المأثورات الشعبية) أو ما يطلق عليه الأرشيف المصري للحياة والمأثورات الشعبية بدراسة تقويمية للمشروع. من خلال رسالة علمية تحفظ لهذا الكيان حقه بما يحويه من مادة تراثية هائلة أقل ما توصف به أنها كنز يجب استثماره والاستفادة منه في قضايا التنمية على كافة المستويات، كما يجب حمايته والحفاظ عليه وضمان استمراريته وذلك من خلال الأجهزة المختصة في الدولة. وتنقسم هذه الدراسة لشقين: الشق الأول خاص بالنظام المؤسسي وبرامجه والمتمثل في الأرشيف كمؤسسة ثقافية لها هيكل وظيفي وإداري والبرامج المستخدمة في عملية حفظ وتوثيق التراث الشعبي- وقد تمت الإشارة لهذا الجزء بشكل مختصر فى هذا البحث وتم تناوله بالتفصيل فى رسالة الدكتوراة الخاصة بالموضوع- أما الشق الثاني فهو خاص بالمادة التراثية التي تم جمعها من الميدان -وهو ما تم تناوله بالتفصيل فى هذا البحث- وقد قامت الباحثة باختيار موضوع الخصوبة والإنجاب في المعتقد الشعبي كنموذج للجمع الميداني في الأرشيف.

وفي هذا السياق تعرض الباحثة في هذا البحث الموضوعات التالية: الإطار النظري، ويليه الإطار المنهجي، ويتبعه التعريف بمجتمع البحث وحالات الدراسة، ثم استعراض الدراسة الميدانية، وأهم النتائج التي تم استخلاصها والتوصيات.

أولاً: الإطار النظري

1 – إعادة إنتاج التراث:

"موضوع إعادة إنتاج التراث من الموضوعات التي أخذت تشغل اهتمام علماء الفولكلور – على مستوى العالم كله – منذ البدايات الأولى لثورة الاتصالات الإلكترونية، وما تنذر به من إحداث تغيير كمي ونوعي في شبكة العلاقات الإنسانية قاطبة، وتعددت الاجتهادات لبلورة مفهوم إعادة الإنتاج، وتدقيقه، وإلقاء الضوء على مكوناته، وتأمل جوانبه المنهجية، أو بالأحرى المشكلات التي يمكن أن تثيرها دراسته على الصعيد المنهجي، ويشير أحمد رشدي صالح قبل نصف قرن لقضية إعادة إنتاج التراث الشعبي، ففي سياق حديثه عن تهديد التنمية، والتحديث، والتصنيع، والتحضر، ووسائل الاتصال الجماهيري وغيرها للتراث الشعبي المتداول في أغلب البلاد النامية إلى أن "التراث الشعبي يتعرض ضمن جوانب الحياة التقليدية لوطأة التبديلات والتعديلات الناتجة من تبني أساليب الحياة الحديثة، والناشئة من التوسع في الاستخدامات التكنولوجية الحديثة، أو المتأثرة أعظم التأثر بتغيير البنية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفقًا لضرورات التحضر Urbanization والتحديث Modernization، ويزيد من وطأة هذه العوامل ويضاعف من انتشار تأثيرها، ذلك الاستخدام القوي الدائب، لما تقدمه المعرفة العلمية الحديثة وتطبيقاتها، في مجال وسائل الاتصال الجماهيرية. لقد أصبحت الكرة الأرضية كلها بمثابة "القرية الصغيرة" في مواجهة التقدم في الاستخدامات التكنيكية المطبقة في وسائل الإذاعة والتليفزيون، وبالإضافة إلى تأثير وسائل الاتصال الجماهيرية الحديثة على سلوك الناس، وأثرها المتزايد في تبني أساليب الحياة الحديثة، فإن عوامل المخالطة البشرية المتمثلة في الهجرة والاستيطان والسياحة أصبحت في مقدمة دواعي التغيير الناشطة بالنسبة لمختلفة الثقافات، وفي مواجهة عوامل التغيير نرى أن مادة المأثورات الشعبية، يحكمها قانونان أساسيان، هما: قانون الاستمرار وقانون نشوء البدائل، أما قانون الاستمرار فيعني لنا، أن الإبداع الشعبي سيظل يودع مأثوره الدرامي خلاصة تجاربه، وذخائر قوله، وفنه، وضوابط سلوكه وأخلاقه ومعتقداته، ويظل يوظف هذا المأثور، لكفاية حاجة تكون قائمة في حياته، ويظل يذيعه ويتناقله ويردده، وقد يقتدي به، ويتناقله من بيئة إلى بيئة، ومن جيل إلى جيل. يصدق هذا النظر على المأثور الشعبي في سائر عصوره، ومراحل تاريخه، ما مضى منها وما يأتي في المستقبل، وأما قانون نشوء البدائل في المأثورات الشعبية فيعني لنا أن استمرارية هذا الإبداع الشعبي، تماثل استمرارية الحياة ذاتها – ففيها جزئيات تموت، وجزئيات تولد، وفيها نماذج تفقد وظائفها ودلالتها وتختفي، ونماذج أخرى تكتسب وظائف جديدة، أو دلائل جديدة، وفيها أنماط تتحول، وأنماط تتجمد، وفيها مأثورات ينكمش مدارها ومأثورات تقيم وتحل محل مأثورات أخرى، وفيها مأثورات تهاجر وتستقر في مواطن استعمال جديدة. (محمد الجوهرى،2010، 324 : 325).

وقد تناول سعيد المصرى فى رسالته للدكتوراة مفهوم إعادة الإنتاج حيث يُضمن عملية إعادة إنتاج التراث الشعبي أربع عمليات أساسية هي: تواتر التراث في الحياة اليومية، واستعادة التراث من الماضي إلى الحاضر، والإضافة عبر عمليتي الاستعارة والإبداع الشعبي. (سعيد المصرى، 1997، 54).

وبناءً على ما سبق وكما سبقت الإشارة لوجود وجهات نظر أخرى تشير لفهم موضوع إعادة انتاج التراث من خلال دور بعض الفئات والمهن في إعادة إنتاج التراث من زاوية دعمه واستمراره،

فسوف نلفت الإنتباه لإسهام الأرشيف فى إعادة إنتاج بعض عناصر التراث الشعبي غير المادى عبر عدة قنوات وهي: مجموعات التراث الشعبي والمتمثلة في الأقراص المدمجة أو ما يسمى بالسي دي CD، والأفلام التسجيلية القصيرة، وإعادة انتاج العناصر الشعبية المادية والمتمثلة في الحرف الشعبية ورصدها وجمعها وعمل أبحاث تنموية خاصة بها، واستخدام وسائل الاتصال الجماهيرى لإعادة إنتاج التراث والمتمثلة في موقع الإنترنت الخاص بأرشيف الحياة والمأثورات الشعبية وقناة اليوتيوب الخاصة به، واستلهام الفن الشعبي وإعادة إنتاج التراث الشعبي. وذلك من خلال طبيعة عمله في جمع وحفظ المواد التراثية وإعادة نشرها وتداولها عبر وسائل التكنولوجيا الحديثة وغيرها من الوسائل الأخرى وهو ما سنوضحه من خلال هذا البحث.

2 – مفاهيم الدراسة:

1 – إعادة انتاج التراث الشعبى:

يقصد بإعادة انتاج التراث الشعبى فى هذا البحث طرح الأرشيف المصرى للمـأثورات الشعبية لعناصر التراث الشعبى بشقيه المادى واللامادى من خلال جمعه وتوثيقه وإعادة نشره وتداوله من خلال عدة قنوات هى: مجموعات التراث الشعبى، ووسائل الاتصال الجماهيرى، واستلهام الفن الشعبى، وإعادة إنتاج العناصر الشعبية المادية، وذلك فى إطار إعادة إنتاج التراث من زاوية دعمه وإستمراره.

2 – التراث الشعبي:

ليس هناك اتفاق حول تعريف واحد للتراث الشعبي يلتزم به علماء الفولكلور. فإذا نظرنا في القاموس الوسيط **للفولكلور والميثولوجيا والأساطير** نجد أنه يشتمل على أكثر من عشرين تعريفًا للفولكلور. وبما أن التراث الشعبي يعني بالجوانب الاجتماعية والأدبية والفنية، كما يهتم بالمعارف المتصلة ببعض العلوم الطبيعية، فلعل الاختلافات البسيطة في تعريف هذا العلم أمر طبيعي ومقبول حيث أنها تصدر عن الخلفيات العلمية للمشتغلين بهذا العلم، وتنعكس على فهمهم لأهم أبعاده وبالتالي على تعريفهم له، فالتراث الشعبي هو العادات والتقاليد والقيم والآداب والفنون والحرف والمهارات وشتى المعارف الشعبية التي أبدعها وصاغها المجتمع عبر تجاربه الطويلة والتي يتداولها أفراده ويتعلمونها بطريقة عفوية، ويلتزمون بها في سلوكهم وتعاملهم حيث أنها تمثل أنماطًا ثقافية مميزة تربط الفرد بالجماعة كما تصل الحاضر بالماضي. وبذلك فهو – أي التراث – يشكل هوية المجتمع وشخصيته الحضارية.

يحتوي التعريف السابق للتراث الشعبي على أمرين هامين لا تكتمل الصورة بدونهما وهما:

أ – المجالات الرئيسية للتراث الشعبي Main Areas (الأدب الشعبي، العادات والتقاليد والمعارف الشعبية، الثقافة المادية، فنون الأداء الشعبي).

ب – العمليات الأساسية Main Prosesses مثل التداول وتبني الجماعة للإبداع الشعبي.

والتراث الشعبي لابد له من مقومات هي: الجماعة، والتداول، والمحتوى الثقافي، والأسلوب الفني، والبعد التاريخي، ومجهولية المؤلف. (التراث الشعبى،1996، 16).

التعريف الإجرائى للتراث الشعبى:

يقصد بالتراث الشعبى فى هذه الدراسة العادات والتقاليد والمعتقدات والمعارف الشعبية والحرف والفنون والآداب التى ابتدعتها الجماعة الشعبية عبر ممارسات وتجارب طويلة وتم توارثها وتداولها جيل بعد جيل بشكل تلقائى وهى تمثل الهوية الثقافية للجماعة الشعبية المصرية،وقد تم جمع هذا التراث الشعبى وحفظه وتوثيقه فى الأرشيف المصرى للمأثورات الشعبية.

ثانيًا: الإطار المنهجي

اعتمدت الدراسة على عدة مناهج ومنها المنهج التقويمي يليه المنهج الأنثروبولوجي، ومنهج دراسة الحالة، والمنهج الوصفي وفيما يلي عرض لهذا الإطار المنهجي:-

1ـ المنهج التقويمي:

للمنهج التقويمي تعريفات عديدة أبسطها تلك العملية التي يقوم بها الفرد أو الجماعة، أو هيئة أو منظمة ما، لمعرفة ما يتضمنه أي عمل من الأعمال (سياسة أو خطة، برنامج، مشروع ....)، من نقاط القوة أو الضعف، ومن عوامل النجاح أو الفشل في تحقيق غاياته المنشودة منه، على أحسن وجه ممكن (http://www.myportail.com)

وقد اعتمدت الباحثة على المنهج التقويمي وأدواته وخاصة الملاحظة، والأسئلة والمقابلة حيث أجرت الباحثة مقابلات متعمقة مع العاملين بمشروع الأرشيف المصرى للحياة والمأثورات الشعبية وتحديدًا القائمين على البرمجة ومساعدي الخبراء بالمشروع واعتمدت هذه المقابلات على تطبيق دليل عمل ميداني قامت الباحثة بإعداده، كما ساعدت الملاحظة كأداة منهجية في رصد عوامل القوة والضعف داخل المشروع وطبيعة العلاقات داخل وحدة العمل ودورها في إنجاح هذا العمل والمساهمة في تطويره.

2 ــ المنهج الأنثروبولوجي وأدواته:

حيث ساعد هذا المنهج في الإعلان عن مهمة الباحثة في مجتمع البحث، ولعبت وسائل جمع المادة دورًا بارزًا في إثراء المادة البحثية، وتمثلت هذه الأدوات في دليل العمل الميداني، الملاحظة، الملاحظة بالمشاركة، والمقابلات المتعمقة، والتصوير الفوتوغرافي، بالإضافة للسجلات والبيانات الإحصائية الخاصة بمشروع الأرشيف المصرى للحياة والمأثورات الشعبية .

3 ــ منهج دراسة الحالة:

ويوحي إلينا مصطلح "دراسة الحالة" عادة بأننا بصدد دراسة حالة واحدة فقط، ولكننا لو تأملنا الطريقة وكيفية أدائها لتبينا أن الجماعات والمؤسسات، بل المجتمعات المحلية يمكن أن تكون هي الأخرى موضوعًا للدراسة بطريقة دراسة الحالة، أو يمكن بعبارة أخرى أن تكون "حالة الدراسة". (محمد الجوهرى، عبدالله الخريجى، 159،2008).

وقد قامت الباحثة أيضًا باستخدام منهج دراسة الحالة وتطبيقه على مشروع الأرشيف المصرى للحياة والمأثورات الشعبية باعتباره وحدة مؤسسية لها قواعد وبنية أساسية تتمتع بالتكامل والتوازن فيما بين أجزائها المختلفة.

4 ــ المنهج الوصفي:

تعتمد المناهج الوصفية على الملاحظات الدقيقة والتوثيق التفصيلي للظاهرة موضوع البحث ودور التقنيات الحديثة في نشر الظواهر المراد دراستها وأيضًا الأستعانة بالتقارير الأنثروبولوجية التاريخية. (أنول باتشيرجى، 2015، 26)

وقد اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي في الدراسة ككل من خلال الملاحظات الدقيقة والتوثيق التفصيلي للظاهرة موضوع الدراسة، وذلك من خلال التقارير الأنثروبولوجية التاريخية التي تصف وتوضح تدرج تاريخ الأرشيفات على مستوى العالم ووصولاً لأرشيف الفولكلور المصري، أيضًا ساهم هذا المنهج الباحثة في توضيح دور التقنيات الحديثة في نشر وتداول المأثورات الشعبية والمساهمة في استمرارها دون المساس بالشكل والمضمون التقليدي لها.

ثالثًا: مجتمع البحث وحالات الدراسة

يُعد مشروع الأرشيف المصرى للحياة والمأثورات الشعبية كوحدة مؤسسية هو وحدة التحليل والوصف الذي يرتكز عليه هذا البحث، وقد قامت الباحثة باختيار حالات الدراسة من بين العاملين فى المشروع من مسئولي البرمجة ومساعدي الخبراء وتطبيق أدلة العمل الميداني عليهم وذلك من خلال المقابلات المتعمقة -وقد تم تناول الأرشيف كمجتمع للبحث فى فصل كامل من الرسالة (الخصوبة والإنجاب في المعتقد الشعبي دراسة تقويمية لمشروع توثيق وتنمية المأثورات الشعبية)- ويطلق على هذا المشروع أيضًا عدة أسماء منها أرشيف الحياة والمأثورات الشعبية، ومركز الإبداع الشعبي.

"حيث بدأت مصر في التفكير في إنشاء أرشيفًا للفولكلور بعد الأرشيف الفنلندي بحوالي مائة وثلاثون عامًا، ففي سنة 1956م أولت الدولة رعايتها للتراث الشعبي بتشكيل لجنة للفنون الشعبية بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، وتكليف اللجنة بإقامة مركز لتلك الفنون سنة 1957م ليحافظ على المأثورات الشعبية المصرية، ويعمل على دراستها وإتاحتها للدارسين والمبدعين. وأصدر مركز الفنون الشعبية أول عدد من مجلة "الفنون الشعبية" عام 1959م، وضمت لجنة تحرير المجلة آنذاك أعلام المتخصصين في المأثورات الشعبية وهم: سهير القلماوي، وعبد الحميد يونس، وسعد الخادم، وأحمد رشدي صالح". (نوال المسيرى،2012، 15 : 16)

وعرفت دراسات الفولكلور المصري محاولات ضخمة نسبيًا – لجمع مادة شعبية حول موضوعات مختلفة يمكن أن تكون نواة طيبة لأرشيف الفولكلور المصري المأمول.

"وقد سعى أسعد نديم – رحمه الله – وأحمد علي مرسي للبدء في إنشاء الأرشيف، حيث تقدم أحمد مرسي بطلب إلى وزير الثقافة آنذاك (فاروق حسني) في شهر مايو 2002 م يرجو فيه الموافقة على تخصيص "بيت الخرزاتي" في حي الجمالية ليكون مقرًا للأرشيف، وبيت الخرزاتي هو أحد بيوت

مجموعة منطقة بيت السحيمي التي قام على ترميمها واستعادتها أسعد نديم في إطار مشروع توثيق وتنمية المنطقة التي تضم بيت السحيمي، وبيت الخرزاتي، وبيت مصطفى جعفر بحارة الدرب الأصفر المتفرعة من شارع المعز لدين الله الفاطمي بتمويل من الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي وكان البيت جزءًا من هذا المشروع وبدلاً من إزالته كما كان مقررًا، تمكن المشروع من ترميمه وإنقاذه وقد تم اختيار هذا البيت، بعد بحث استغرق شهورًا في المنطقة بحثًا عن مكان للأرشيف، ووافق الوزير وقتها على تخصيص أحد أدوار هذا البيت ليكون مقرًا للأرشيف المصري للمأثورات الشعبية. ثم أصدر بعد ذلك في شهر نوفمبر 2002م قرار بإنشاء مركز للإبداع الشعبي، ليكون من مراكز الإبداع التابعة لصندوق التنمية الثقافية. وتم تسليم المكان في نهاية شهر أكتوبر عام 2007م أي بعد خمس سنوات تقريبًا من موافقة الوزير، وفقًا لبروتوكول تم توقيعه بين الأرشيف وبين المجلس الأعلى للآثار في أكتوبر عام 2007م". (أحمد مرسى،2013، 45 :47)

"والأرشيف ليست كلمة عربية وهي تعني مكان ونظام حفظ الوثائق، وتعددت أنواع الأرشيفات تبعًا لتنوع المادة التي تحفظها، وأسلوب الحفظ وأصبح اليوم لدى كل مؤسسة خاصة أو عامة مكانًا خاصًا وطريقة خاصة لحفظ وثائقها للرجوع إليها عند الضرورة، أو تيسير وصول الباحثين إليها. وتوجد أرشيفات توثيق حكومية من هذا النوع في أغلب دول العالم، وقد تأسس أول أرشيف من هذا النوع في فرنسا عام 1970م، وهو ما أشار إليه جورج ليست. إلا أن أرشيف الفولكلور يختلف من نواحي كثيرة عن أرشيف التوثيق، حيث يقوم أرشيف الفولكلور بحفظ عناصر التراث والمهارات الشعبية التي تنتقل عن طريق الذاكرة، على حين يقتصر أرشيف التوثيق على حفظ المواد المنشورة في صورة مكتوبة، أو منسوخة، أو مطبوعة. ويحصل أرشيف الفولكلور على مادته من مصادر متنوعة، أما أرشيف التوثيق فيحصل عليها من مصدر واحد فقط ". (محمد الجوهرى، 1997، 493).

رابعًا: الدراسة الميدانية

يرجع الهدف الأساسى لبناء الأرشيف إلى إنشاء قاعدة بيانات علمية لا من أجل حفظ عناصر المأثورات الشعبية وصونها فحسب بل لكى تكون أيضًا مصدرًا موثقًا وقاعدة علمية يمكن الاستفادة منها فى التدريب على المهارات التراثية وتنميتها، وتقديم مواد ومصادر ومراجع موثقة يمكن استخدامها وتوظيفها على مختلف المستويات فى التعليم والإعلام والدراسات الأكاديمية وغيرها.(أحمد على مرسى،2013، 49).

إلا أنه سوف نتناول فى الأجزاء التالية ما يمكن أن يسهم به الأرشيف كآلية لإعادة إنتاج التراث الشعبى من خلال عدة قنوات هى:

1- مجموعات التراث الشعبي.
2- العناصر الشعبية المادية.
3- وسائل الاتصال الجماهيري.
4- استلهام الفن الشعبي.

وفيما يلي عرض تفصيلي لهذه الموضوعات

1 – مجموعات التراث الشعبي:

" يمكن إعتبار مجموعات التراث الشعبي إحدى آليات إعادة إنتاج التراث ويُقصد بالمجموعات تلك الكتب أو الموسوعات أو حتى المجموعات القصصية الشعبية التي تسجل – لغرض الدراسة العلمية، أو التسلية والترويح، أو لغير ذلك من الأغراض – تسجل بين دفتيها نصوصًا شعبية، أو حصرًا وتوصيفًا لممارسات وعادات ومعتقدات ومعارف شعبية، أو ألعاب، أو أدوات، أو فنون معمارية، أو موسيقية .. وغير ذلك، ولعل أشهر مجموعة عرضها العالم كله للنصوص الشعبية مجموعات "حكايات الأطفال والبيت" للأخوين جريم، وقد أصدر الأخوين جريم طبعه مختصرة مصغرة من هذه المجموعة تضم خمسين حكاية مختارة من حكايات الطبعة الكاملة البالغ عددها 210 حكاية. وقد صدرت هذه الطبعة لأول مرة عام 1825م، ثم توالي طبعها بعد ذلك في أعوام: 1833، 1836، 1839، 1841، 1844، 1847، 1850، 1853، 1858 .... وتوالت طباعتها دون حساب بعد ذلك التاريخ (أي لم يعد يذكر على الكتاب رقم الطبعة لكثرة هذا العدد وتعدد دور النشر). ويقصد من ذكر تلك التواريخ إعطاء فكرة أولية عن الانتشار الواسع الذي حُظيت به تلك الحكايات بين الناس، ومن أبرز هذه المجموعات الحديثة في مصر سواء في تاريخ تأليفها أو تاريخ ترجمتها – إن كانت أجنبية – ونشرها بين الناس:

1- كتاب وليم لين: المصريون المحدثون، عاداتهم وشمائلهم.
2- الفلاحون للأب هنري، عيروط.
3- قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية للأستاذ أحمد أمين.
4- معجم الأمثال العامية للعلامة أحمد تيمور.
5- الطبعات الشعبية الحديثة لكتاب ابن سيرين: تفسير الأحلام.
6- الطبعات الشعبية الحديثة لكتاب تذكرة داود الأنطاكي الطبية.
7- الطبعات الشعبية الحديثة لكتاب جلال الدين السيوطي: الرحمة في الطب والحكمة.

وتلك نماذج قليلة لكتب كثيرة متنوعة تحوي نصوصًا شعبية، أي عناصر من تراث الشعب". (محمد الجوهرى، 2010، 353، 355)

وفى ضوء ذلك يمكن أن نرى فى الإصدارات نموذجًا واضحًا لآلية من آليات إعادة إنتاج التراث من خلال الإصدارات العلمية والفنية المقروءة والمسموعة والمرئية التي أصدرها الأرشيف المصرى للحياة والمأثورات الشعبية وذلك باستخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة فلم تُعد الكتب وحدها هي أداة الحفاظ على التراث وإعادة إنتاجه مرة أخرى فأصبحت هناك آليات أخرى تخدم هذا الهدف ومنها الأقراص المدمجة أو ما يسمى بالسي دي CD، والأفلام التسجيلية القصيرة، ومواقع الإنترنت حيث قام الخبراء بالأرشيف بالتعاون مع المساعدين بعمل أفلام تسجيلية قصيرة عن بعض عناصر التراث الشعبي التي تم جمعها في الأرشيف ووضعها على CD وإتاحتها للعرض ومنها:-

1- CD يتناول مشروع تنمية المنتجات التراثية المصرية وإدماجها في الاقتصاد الصناعي المصري أعده الخبراء بالأرشيف بمعاونة المساعدين حيث تحتوي الأسطوانة على تسجيل وتوثيق 22 حرفة مسجلة صوت وصورة وأماكن انتشارها على خريطة توضح ذلك بشكل تفصيلي.

2- CD يتناول مظاهر الاحتفال بالموالد الشعبية أعده الخبراء بالأرشيف وأنتجه صندوق التنمية الثقافية، وتحتوي الإسطوانة على أهم الموالد الإسلامية، والقبطية التي يحتفل بها المصريون على مدار العام وهي على سبيل المثال: (مولد الحسين– مولد السيدة نفيسة – مولد علي زين العابدين – مولد المرسي أبو العباس – مولد السيدة زينب – مولد العذراء – مولد مارجرجس – مولد السيد البدوي – مولد إبراهيم الدسوقي ..... إلخ). وهي بانوراما للمادة التي تم توثيقها بالأرشيف.

3- CD يتناول الرقصات الشعبية المصرية أعده خبراء الأرشيف بإشراف سمير جابر، وتحتوي الإسطوانة على فيلم لبعض الرقصات الشعبية المصرية، ومدة الفيلم حوالي خمسة وخمسين دقيقة، وهذه الرقصات هي: سامر السحجة، وسامر الدحية، واللعب بالسيف والدرق، وترقيص الخيل وآدابها، وتنويعات من الذكر، والرقص بالعصا، ورقصة النزاوي، والرقص البلدي، ورقص الفلاحين، والضمة البورسعيدية، والأراجيد، والهوللي هولي، وتحتوى الإسطوانة على تعريف لكل رقصة ومكان وتاريخ جمعها واسم الجامع.

4- CD عن المأثورات الشعبية في الفيوم أعده شوقي حبيب (أحد خبراء الأرشيف) وتحتوي الإسطوانة على فيلم يوثق أشكال التراث الشعبي المتنوع بتلك المحافظة ومدة الفيلم 22 دقيقة.

كما قام المساعدون بإشراف الخبراء بإنتاج أفلام تسجيلية قصيرة عن العديد من عناصر التراث الشعبي، فهناك أفلام عن الاحتفال بموالد الأولياء والقديسين مثل: مولد أبو الحسن الشاذلي ومدته 14 دقيقة و26 ثانية، ومولد أبو الحجاج الأقصري ومدته 14 دقيقة و 43 ثانية وتمت ترجمته إلى اللغة الإنجليزية، ومولد السيدة العذراء ومدته 16 دقيقة و 15 ثانية، وفيلم حول المعتقدات عن الحسد، وآخر متنوع عن المعتقدات الشعبية.

وفي مجال الأزياء هناك أفلام عن التوب السيناوي والبرقع السيناوي والعمة الرجالي وغيرها. وفي في مجال العادات والتقاليد تم إنتاج أفلام عن ليلة الحنة والقضاء العرفي والأسواق الشعبية وغيرها، وفي مجال الموسيقى الشعبية تم إنتاج العديد من الأفلام ومنها السيرة الهلالية، وفرق الطبل البلدي والمزمار، وأغاني مناسبات الزواج، وأغاني مرحلة الطفولة وغيرها الكثير، وهكذا قام كل قسم من أقسام الأرشيف بعمل أفلام واختيار مادة علمية وعمل مونتاج وإخراج لها دون المساس بأصل المادة أي دون إضافة أو حذف أو تعديل في المادة المجموعة ميدانيًا.

أما في مجال الكتب قام الأرشيف المصرى للحياة والمأثورات الشعبية بإصدار العديد من الكتب التي تم جمع مادتها العلمية من خلال مواد الأرشيف ومن هذه الكتب:

1- كتاب حكايات نسيج الحرير اليدوي في مصر، إعداد نوال المسيري.
2- كتاب ملامح الإبداع في العمارة الريفية، إعداد حنا نعيم حنا وفاز الكتاب بجائزة الدولة التشجيعية لعام 2011م.
3- كتاب المعارف الشعبية المرتبطة بالزراعة إعداد مجموعة المساعدين بالأرشيف وقد نال الكتاب جائزة الدولة التشجيعية لسنة 2013م.
4- كتاب الغناء الديني دراسة للأغاني الدينية في الموالد الشعبية إعداد أحمد بهي الدين وقد نال الكتاب جائزة الدولة التشجيعية لسنة 2014م.

5- كتاب الأسواق الشعبية في مصر، إعداد نوال المسيري.
6- كتاب الأطعمة الشعبية المصرية في الاحتفالات والمناسبات، إعداد عادل عبد المنعم، وفاز الكتاب بجائزة الدولة التشجيعية لعام 2020م.

2-العناصر الشعبية المادية:

قام الأرشيف المصرى للحياة والمأثورات الشعبية وبالتعاون مع الجمعية المصرية للمأثورات الشعبية ومركز تحديث الصناعة التابع لوزارة الصناعة في الفترة من 2009/7/1 حتى 2009/9/30 بجمع 366 حرفة شعبية في 373 رحلة ميدانية بمجموع صور فوتوغرافية بلغت 28262 صورة و 588 ساعة فيديو و 123 ساعة تسجيلات صوتية، وعمل قوائم حصر بأسماء الحرف وتبويبها وأماكن تمركزها لتوضيح الحرف التي تصلح للتصدير والحرف التي ينبغي تنميتها للسوق المحلي، وهو ما يمكن إعتباره مساهمة في إعادة إنتاج عناصر الثقافة الشعبية المادية .

وفيما يلي عرض لجزء من قوائم الحصر بأسماء الحرف وتبويبها وأماكن تمركزها والتى أعدها الأرشيف بناءً على المادة الميدانية التي تم جمعها من محافظات مصر المختلفة، وقام الأرشيف بإنشاء قاعدة بيانات توضح أماكن الحرف الشعبية وأماكن تمركزها وقابليتها للتصدير أو طرحها فى السوق المحلي من خلال جمع ميداني متعمق ودقيق يقوم على أسس علمية رصينة والوصول من خلال هذا الجمع الميداني لنتائج وتوصيات تخدم استمرار هذه الحرف وتدعيمها وتطويرها هو ما يمكن إعتباره بمثابة حجر الأساس في عملية إعادة إنتاج مثل هذه العناصر التراثية حيث تتطلب عملية إعادة الإنتاج في بدايتها جمع وافي ودقيق للعنصر التراثي المراد إعادة إنتاجه مرة أخرى.

وقد شمل مشروع الحرف عدد كبير من الحرف الشعبية المصرية وأماكن تمركزها وصلاحيتها للتصدير أو طرحها بالسوق المحلي بعد عملية تنميتها، وفيما يلي عرض لنماذج من الحرف التي تم جمعها ضمن المشروع مثل: **حرفة الأخشـــاب** وتشمل :(نجار موبيليا، نجار كراسي (كرسجي)، نجار باب و شباك، نجار تعشيقات، نجارة بلدي، نجارة عربي، نجارة باركيه أو ألواح، نجارة براميل خشب، نجار مسلح، نجار صناديق موتى، نجار لصق قشرة (قشرجي)، نجار تطعيم (ماركترية)، نجار سواقي (الجيفاوي)، نجار طنبور، نجار محراث، نجار نورج، نجار قبقاب، نجار أورمة الجزار، نجار عربات يد، نجار عربات كارو، نجار عربات حنطور، نجار أطباق، خراط عربي، خراط أفرنجي، الأويما (الحفر)، نجار مراكب، مشابك الغسيل، المدهباتي، الأسترجي).

حرفة الغزل والنسيج وتشمل: (الغزل، غزل الأقطان، غزل الكتان، غزل صوف الخراف، غزل الحرير، النسيج، النسيج بأنواعه (النسيج السادة، النسيج الجاكار)، الكليم بأنواعه (كليم الواحات، كليم الحرانية، كليم المفرش، كليم القباطى، المرسمات، المشايات، غطاء على ظهر الدواب، سجاد القصاقيص.

كما قام الخبراء بالأرشيف بعمل 18 دراسة ميدانية متكاملة عن الحرف بعد إتمام عملية الجمع الميداني للكشف عن المعوقات التي تواجه هذه الحرف والعاملين بها، بهدف تنميتها وإعادة إنتاجها دعمًا لاستمرارها وحمايتها من الاندثار وفيما يلي عرض لهذه الأبحاث:

1- تنمية الآلات الموسيقية الشعبية المصرية وإدماجها في الاقتصاد المصري.
2- دراسة حول الحرف في الفيوم.
3- فنون وحرف تقليدية بمدينة القاهرة الأويما.
4- حرفة الحديد الزخرفي (المشغول) بالقاهرة.
5- حرفة الفخار بمنطقة مصر القديمة، القاهرة.
6- صناعة الزجاج والزجاج المنفوخ.
7- حرفة دباغة الجلود وتجهيزها للصناعة.
8- حرفة العقادة.
9- صناعة سفن الصيد بدمياط.
10- الكليم اليدوي في محافظة مطروح.
11- الحرف القائمة على النخيل.
12- صناعة الحصير.
13- النسيج اليدوي بأخميم، سوهاج.
14- حرفة الخيامية.
15- الحرف المعدنية (النحاس – الذهب – الفضة).
16- حرفة التطعيم بالصدف والعظم بالقاهرة.
17- صناعة الأثاث باستخدام الجريد بأسيوط.
18- الأطعمة والمشروبات التقليدية.

هذا بالإضافة لمعرض صور أقيم بمركز الحرف التقليدية بالفسطاط بالمشاركة مع مركز تحديث الصناعة، والاتحاد الأوروبي، ومنظمة اليونسكو احتفالاً بانتهاء مشروع جمع وتوثيق الحرف الشعبية.

3 – وسائل الاتصال الجماهيري:

" وسائل الاتصال الجماهيري هي شرايين المجتمع العصري، وهي أيضًا الجزء المهم من جهازه العصبي، وقد لاحظ بوضوح أحمد رشدي صالح في دراسة له، أن وسائل الاتصال الأقدم تاريخيًا من الإذاعة المرئية والمسموعة ونعني بها السينما والمسرح والمطبعة - أصبحت هذه الوسائل، أكثر نفوذًا بذاتها عما مضى، وأشد اتصالاً بوسائل أحدث منها – وهي تلك الوسائل القادرة على أن تصل إلى كل موقع على الأرض، وتخاطب كل إنسان، وتؤثر في وجدانه وتفكيره، وترسل إليه رسائل ليست متصلة ببيئته ولا بقيمه أو تقاليده، أو موروثه من الفكر والعادة والأخلاق، كذلك تلعب وسائل الاتصال الجماهيري الضخمة كالتليفزيون أو الأفلام السينمائية، والتسجيلات الصوتية، والإذاعة دورًا هامًا في هذا الصدد، إذ تمتص وتبتلع جميع أنواع الموضوعات الشعبية لتعيد إفرازها من جديد وتنشرها على جمهورها العريض في عملية تغذية استرجاعية ثقافية مستمرة، وقد تصدى حسن الخولي في دراسة خاصة لتأمل هذه العلاقة بين الإعلام والتراث الشعبي، حيث أنتهى إلى أن هناك نوعًا من الخصوصية في حمل عناصر التراث الشعبي من حيث الكم والنوع، أي أن لكل طبقة ولكل فئة من الفئات الاجتماعية عناصر تراث خاصة بها ومميزة لها، ولكن وسائل الاتصال الجماهيري، عندما تستخدم عناصر التراث الشعبي، فإنها تلحق مساسًا بتلك الخصوصية، حيث لا تبقى عناصر التراث المستخدمة في هذه الحالة ملكًا فقط لطبقة أو فئة معينة، وإنما تصبح تراثًا لجمهور أعرض من الناس، إذ أن وسائل الاتصال

الجماهيري تعمل على نشر ما يعرف بالثقافة الجماهيرية، وهي ثقافة يشترك فيها أبناء الشعب جميعًا على تعدد إنتماءاتهم وثقافتهم الفرعية". (محمد الجوهرى، 2010، 342)

وقد قام الأرشيف المصرى للحياة والمأثورات الشعبية باستخدام وسائل الاتصال الجماهيري في أحدث صورة من خلال تصميم موقع للأرشيف على شبكة الإنترنت ليبدأ إطلاق الموقع باللغة العربية واللغة الإنجليزية على الرابط www.nfn.eg.org، وقد فاز الموقع بجائزة أفضل موقع ثقافي مصري لعام 2013م في المسابقة القومية للمحتوى الالكتروني الثقافي. "Egypt-content Award"، وهي المسابقة التي أهلت الموقع لتمثيل مصر في المسابقة العالمية للمحتوى الالكتروني والفوز بها كأفضل موقع ثقافي عربي للعام نفسه.

هذا إلى جانب قناة youtube

صورة توضح الصفحة الرسمية للموقع الإلكتروني للأرشيف

والتي تشمل الكثير من الأفلام القصيرة التي تم إعدادها بواسطة مساعدين الخبراء بالأرشيف، ووضعها على قناة الأرشيف المصري للحياة والمأثورات الشعبية باليوتيوب دون المساس بالمحتوى الأصلي للمادة التراثية سواء بالإضافة أو الحذف، ويُعد نشر المادة التراثية عن طريق الموقع والقناة صورة من صور تناقل المادة التراثية ونشرها لأكبر قدر من الجمهور والاستفادة منها سواء من الناحية المعرفية لتراث بلدنا والحفاظ على هويتنا الثقافية أو عرض المحتوى للمستفيدين منه على الصعيد العلمي سواء في إجراء أبحاث أو رسائل علمية أو تنمية ثقافية في شتى مجالات الحياة، كما أتاح الأرشيف المادة للمستفيدين من الفنانين والمبدعين للتعرف على الأزياء واللهجات واللكنات والاستفادة منها دون مقابل مادي مما وفر على المستفيدين عناء السفر والاستنزاف المادي للحصول على هذه المادة، فالتراث الشعبي ملك لكل أبناء الوطن وليس حكرًا على أحد، وليس مجاله المتاجرة به فإتاحته للجماهير واجب وطني حفظًا للهوية الثقافية.

4 – استلهام الفن الشعبي:

يشير رشدي صالح في مقاله مسرحة الفنون الشعبية إلى عملية استلهام الفن الشعبي أو اقتباس الفن الشعبي إلى "أن يكون العمل الفني الشعبي دالاً على الميراث الشعبي، عند تقديمه على خشبة المسرح، ومتصلاً بروحه وطابعه، لكن ينبغي الحذر تمامًا من أن نفهم هذا الشرط فهمًا ضيقًا، جامدًا، أو أن نجعله قيدًا حديديًا على عملية تصميم الرقص (الكوريوجراف) حيث أننا لا نطلب من مصمم الرقصة المسرحية أن ينقل إلينا صورة دقيقة برقصات موجودة في البيئة الشعبية ويعرضها على خشبة المسرح، بل نطلب منه أن يقدم صيغة مسرحية مشتقة من الرقصات الشعبية، ولذلك فهو يقوم بدور المنشيء لهذه الصيغة، ولا ينبغي أن يكون هناك قيد على تأثره بالمادة الأصلية، كما أن أحدًا لا يملك الحق أو القدرة، على أن يوجه عملية الخلق والإبداع الفني الذاتية". (أحمد رشدي صالح، 12،1970)

وفي هذا الإطار تشير الشواهد الميدانية إلى الدور الذى يمكن أن يلعبه الأرشيف في المساهمة فى استلهام الفن الشعبي وإعادة إنتاجه مرة أخرى - حيث أن إعادة إنتاج العناصر الثقافية تتطلب فى البداية عملية جمع منظم قائم على أسس علمية لعناصر التراث الشعبى - وجاء ذلك في إطار الحفاظ على التراث الشعبي والحرص على نقله وتعريفه لجماهير عريضة وإتاحته للتعريف به والاستمتاع به أيضًا، وفى هذا المجال قام الأرشيف المصرى للحياة والمأثورات الشعبية بتسجيل فاعليات احتفالية رحلة العائلة المقدسة التي تقام في كنيسة المعادي في كل عام من شهر (كهيك) القبطي ويسمى هذا الشهر بالشهر المريمي، حيث يتم تمثيل أحداث رحلة العائلة المقدسة بدءًا بدخول السيدة العذراء مصر بعد هروبها من فلسطين خوفًا من قتل الحاكم الروماني للطفل يسوع، حيث تتلى الصلوات اليومية والمدائح للسيدة العذراء ويتم تمثيل القصة كاملة بواسطة أبناء الكنيسة بحضور جماهيري كبير، وقد قام الأرشيف بتسجيل الاحتفال وحفظه وتوثيقه وإنتاج فيلم تسجيلي قصير عنه مدته 16 دقيقة.

كما قام الأرشيف بالتعاون مع الجمعية المصرية للمأثورات الشعبية بعمل معرض صور أقيم بقصر الأمير طاز بمناسبة الانتهاء من جمع وتوثيق الاحتفالات التقليدية (احتفالات الشمس) بمشاركة الاتحاد الأوروبي واليونسكو، كما تم تقديم نموذج حيّ للاحتفال بالمولد النبوي الشريف تحت إشراف أحمد مرسي، وعبد الرحمن الشافعي، وقد أقيمت احتفالية شاملة بعد الانتهاء من عمليات الجمع والتوثيق خلال الفترة من 5 - 7 مارس 2009 كمقدمة للاحتفال بأهم الموالد الإسلامية وهو مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم (9 مارس) على أن تكون هذه الاحتفالية ممثلة لكل الاحتفالات التي تم توثيقها على نحو طبيعي وذلك في أحد أقدم الأحياء الشعبية المصرية هو حي الخليفة الذي يوجد به مجموعة من أهم آثار القاهرة الفاطمية والأيوبية والمملوكية يشارك فيها باحثون من بعض دول البحر المتوسط، حيث تم إنشاء قاعدة بيانات عن الاحتفالات الشعبية المصرية الرئيسية تضمنت كل مظاهر هذه الاحتفالات وما يرتبط بها من عادات وتقاليد وممارسات، وما تحتويه من فنون وحرف ووسائل تسلية وترفيه، وما يقدم من أطعمة ومشروبات.. الخ، وقد كانت قاعدة البيانات حصيلة عمل ميداني (23 رحلة ميدانية) استمر لمدة عام تقريبًا. ووفقًا لما كان متفقًا عليه، فقد أقيم خلال الفترة من 5 إلى 7 مارس 2009، احتفال يمثل هذه الاحتفاليات بدأ مساء يوم الخميس 2009/3/5 إيذانا ببدء الاحتفال بمولد النبي عليه الصلاة والسلام وذلك في قصر الأمير طاز، وهو قصر أثري بأحد الأحياء الشعبية (حي الخليفة) بمدينة القاهرة، وشارك في هذا الاحتفال آنذاك طارق شوقي مدير المكتب الاقليمي لليونسكو بمصر، و أنطونينيوكريا ممثل اللجنة الأوروبية في مصر، وجيرار دي بوميج رئيس القسم الثقافي بالمكتب الإقليمي لليونسكو بمصر، و جيهان

عبد الملك من القسم الثقافي باليونسكو، و أليساندرو فالاسي أستاذ الأنثروبولوجيا الثقافية من ايطاليا، وأحمد مرسي رئيس الجمعية المصرية للمأثورات الشعبية (مدير المشروع)، وسميح شعلان عضو الجمعية (الباحث الرئيسي)، وأعضاء الفريق الذي قام على جمع وتوثيق الاحتفالات، وبدأ الاحتفال بموكب يمثل احتفالاً شعبيا بمولد النبي الذي يحل الاحتفال به في نفس الفترة (9 مارس)، شارك فيه ممثلو الطرق الصوفية، والجمهور من أبناء المنطقة بخلاف العاملين فى المشروع، وسار الموكب في الشارع المؤدي إلى قصر الأمير طاز حيث تقام فعاليات الاحتفال. وقد استغرق هذا الموكب حوالي 45 دقيقة من الموسيقى والغناء والذكر، ثم دخل الموكب إلى فناء القصر حيث توجد العديد من الممارسات الشعبية التي وجدت كمحاكاة لما يحدث في البيئة الطبيعية للمولد مثل عربات حمص الشام وبائعي الفشار، ورسم الحناء والعديد من الألعاب الشعبية وغيرها من مظاهر الاحتفال الشعبي بالمولد، حيث ألقيت كلمات افتتاحية بدأها أليساندرو فالاسي الذي ذكر أن إتمام هذا المشروع كان بمثابة الحلم بالنسبة له، وأنه بتوثيق الاحتفالات الشعبية المصرية تكتمل منظومة احتفاليات البحر المتوسط ثم تحدث طارق شوقي فعّبر عن سعادته بإنجاز هذا المشروع الذي يوليه اليونسكو أهمية كبرى في إطار برنامجه للحفاظ على التراث الثقافي غير المادي، وتعزيز التنوع الثقافي كما أشاد بالتعاون البناء بين اليونسكو والجمعية المصرية للمأثورات الشعبية، وشكر اللجنة الأوروبية على إسهامها في تنفيذ المشروع، كما تحدث أحمد مرسي والدكتور جيرار دي بوميج عن التجربة المتميزة في التعاون بين اليونسكو والجمعية المصرية للمأثورات الشعبية، وأنه لولا هذا التعاون لما أمكن إتمام هذا المشروع، وعرض سميح شعلان لخطة العمل التي اتبعت، ووجه الشكر للزملاء الذين شاركوا في تحقيقها، وتلا ذلك افتتاح معرض صور يمثل المظاهر المتعددة التي تتضمنها الاحتفالات الشعبية المصرية. وقد ضم المعرض 110 صورة فوتوغرافية تغطي كافة عناصر الاحتفالات. وبعد أن انتهى افتتاح المعرض الذي شاهده مسئولون مصريون وممثلون لسفارات دول البحر المتوسط المعتمدون في القاهرة، وبعض الدبلوماسيين من دول أوروبا، وجمهور كبير من المصريين، بدأ احتفال شعبي في أرجاء القصر يمثل ما يدور في الاحتفالات الشعبية المصرية من غناء ورقص وألعاب ووسائل ترفيه وأطعمة ومشروبات وحلوى كانت تقدم للضيوف والجمهور مجانا من جانب الجمعية المصرية للمأثورات الشعبية وقد استمر الاحتفال حوالي 4 ساعات، وفي اليوم التالي الجمعة 2009/3/6، نظم موكب آخر تلاه عرض أفلام فيديو عن الاحتفاليات الشعبية في بعض بلاد البحر المتوسط، وألقى الدكتور أليساندرو فالاسي محاضرة عن المشروع، وقدم نموذجًا لتوثيق الاحتفالات هو احتفال "الباليو" في "فيينا" بإيطاليا تلاه تقديم النموذج المصري وقام أسعد نديم وسميح شعلان بالتعليق عليه. ثم بدأت بعد ذلك عروض شعبية استمرت حتى العاشرة مساءً. وقد صاحب ذلك إقامة معرض للكتب الخاصة بالمأثورات الشعبية من إصدارات الهيئة المصرية العامة للكتاب، كما تم توزيع الكتيب الذي أصدره المشروع عن الاحتفالات الشعبية المصرية وكذلك الكتيب الخاص بجمع وتوثيق السيرة الهلالية وهو المشروع الذي قامت به الجمعية بالتعاون مع اليونسكو أيضًا. وفي اليوم الثالث السبت 7 مارس 2009، دعى المشاركون في الاحتفالية لزيارة بيت الخرزاتي (بيت أثري يقع في حيّ الجمالية وهو حيّ شعبي من أحياء القاهرة الفاطمية) للتعرف على مشروع الأرشيف المصرى للحياة والمأثورات الشعبية الذي يموله الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي وتنفذه الجمعية المصرية للمأثورات الشعبية ويهدف إلى إنشاء قاعدة بيانات علمية للمأثورات الشعبية (التراث الثقافي غير المادي).

خامسًا: أهم النتائج والتوصيات

أ- أهم النتائج:

1- يمكن إعتبار مجموعات التراث الشعبي ووسائل الاتصال الجماهيري من آليات إعادة إنتاج التراث التى تبرز عملية تواتر التراث الشعبى من خلال نشره وتداوله عبر الوسائل المختلفة من أقراص مدمجة، وكتب، وأفلام تراثية قصيرة تبث عبر قناة اليوتيوب الخاصة بالأرشيف، كما أنها قد تكون مصدرًا لاستلهام الفن الشعبى من خلال عرضها وتداولها مما يعد مصدرًا لإلهام المبدعين والفنايين المهتمين بهذا المجال، وعلى سبيل المثال فهناك مقطع فيديو لأغاني أفراح شعبية قد تمت مشاهدته أكثر من اثنان مليون مشاهدة كما موضح في القناة، كما أن قناة يوتيوب الأرشيف قد حققت مشاهدات أكثر من أربعة عشر مليون مشاهدة وهذه الأرقام موضحة بالقناة، كما أن مشروع جمع الحرف الشعبية الذى قام به الأرشيف والذى أهتم بجمع الحرف وتوضيح أماكن تمركزها والمعوقات والمشاكل التى تواجه استمرار الحرفة وتقديم الحلول لضمان استمرارها قد يكون استعادة لعناصر التراث الشعبى إحدى عمليات إعادة إنتاج التراث.
2- إعادة إنتاج التراث يمكن أن تحدث ليس فقط بالعمليات المعروفة وهى عمليات التواتر أو التناقل، وعمليات الاستعادة، وعمليات الإضافة (بالاستعارة أو بالإبداع)، ولكن أيضًا من خلال دور بعض الفئات والمهن في إعادة إنتاج التراث من زاوية دعمه واستمراره وتدعمها آليات مثل: وسائل الاتصال الجماهيري ، ومجموعات التراث الشعبي ، واستلهام الفنون الشعبية.
3- استطاع مشروع توثيق وتنمية المأثورات الشعبية تخطي مشكلة التمويل والروتين الحكومي وذلك من خلال دعم الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي وهي إحدى المعوقات الكبرى التي وقفت في وجه إنشاء المشروع.
4- تشير الشواهد الميدانية إلى أن اختيار كوادر متخصصة لها ثِقل وباع في موضوع البحث في علم الفولكلور كان له أثر قوي في إنشاء أرشيف قوي على أسس علمية رصينة، حيث تم عمل خطة شاملة ومحكمة بداية من عملية البحث والرصد للمواد التراثية الموجودة في أنحاء مصر بمحافظاتها المختلفة، ثم عملية الجمع الاستطلاعي والجمع المتعمق المنظمة والتي صارت وفق الخطة العلمية الموضوعة، ثم مرورًا بوضع تصنيف له أسس علمية قوية وتحويلها من خطة ورقية إلى مادة على قاعدة بيانات رقمية، ثم الانطلاق في موضوع الجمع والأرشفة، حيث تم إنجاز عدد هائل من ساعات الفيديو والصوت والصور لمواد تراثية تم حفظها قبل ضياعها.
5- كما دلت الشواهد الميدانية على أهمية الدور الذى لعبه الأرشيف في حفظ وتسجيل عناصر المأثورات الشعبية المصرية / التراث الثقافي غير المادي، على قوائم الحصر وفقًا للاتفاقية الدولية الخاصة بصون التراث الثقافي غير المادي، وقد تم حصر وتسجيل 82 عنصر بالفعل لدى اليونسكو وقد تم نشرها على الموقع الالكتروني للأرشيف المصري للحياة والمأثورات الشعبية، وتم ترتيبها بحسب الزمن وبحسب الموضوعات، وهذه العناصر هى:

الحكي (القص)، والحجالة، والعلاج بالدفن في الرمال – المردم، وأغاني العمل، والسحجة، والجرة القيافة، والموال، والأراجيد، والفطير المشلتت، والأمثال، والبورمية السيوية، والبتاو، ونصوص الرقى والتعاويذ، والرقص البلدي، والكحك، والفوازير (الألغاز)، ورقصة الفكه، والعيش المخمر، والنكت، ورقصة السِيَّرَة، والقهوة، ونداءات الباعة، والسوق، وصناعة الفخار بدون دولاب، والسيرة الهلالية،

والمجلس العرفي، و مشغولات الخوص، والزواج، ومولد عبد الرحيم القناوي، وأساليب نقل خبرة نجارة الأثاث، والابتهالات والتواشيح، و شم النسيم، والتلي، وسبوع المولود، والمحاكاة - التمثيل - التقليد، والحصير البلدي، والعديد، والكبه، وعروسة المولد، والمدائح النبوية، والسيجة الصغيرة، والخيامية، والاحتفال بعيد السياحة بواحة سيوة، والتنشين بالبنادق، وصناعة الفخار، والزفة، وأمنا الغولة، والزجاج المنفوخ، وفرقة النيل للموسيقى الشعبية المصرية، و شبر شبرين، ومشغولات الجريد، والأراجوز، والتحطيب، والرسوم الجدارية، وخيال الظل، والأولى، والنسيج اليدوي، والمواكب، وحادي بادي، وفانوس رمضان، والربابة، وملك ولا كتابة، وثوب الجرجار النسائي، والمزمار، ومولد أبو الحسن الشاذلي، وجلابية بوسط، والأرغول الصغير، والعلاج بتراب الأضرحة، والبرقع النسائي، وآلة السمسمية، والرقوة، والقُنعة، ورقصة الضمة، وعروسة الحسد، وجلابية بلدي، واللعب بالسيف والدرق (التربلة)، والزار، وجلابية بسفرة، وترقيص الخيل (آداب الخيل)، وطاسة الخضة، والدحية (الحاشي) (الريدية)، وعربة الفول.

6- تدريب عدد 214 شابًا وفتاة في الفترة من 2007 إلى 2012 على عمليات الجمع بكل ما تحويه من متطلبات علمية وتقتنية كان له أثرًا في جمع مادة تراثية قوية حيث توحيد خطة الجمع وفقًا لمنهج علمي واحد ومفاهيم واحدة.
7- تشير الشواهد الميدانية إلى أن استخدام طريقة المراسلة أي أن الجامع هو ابن مجتمع بحثه يجعل للمادة المجموعة ثقل، فخير جامع هو ابن المجتمع ذاته فهو أقدر الناس على فهم ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم، ووجود جامعين ميدانيين من شتى محافظات مصر أدى إلى سهولة الجمع من محافظات مصر كلها تقريبًا، فيوجد جامعين من كل محافظة.
8- وتشير الشواهد الميدانية إلى تدريب الأرشيف لعدد كبير من الشباب والشابات من مساعدي الخبراء على عمليات الأرشفة والحفظ، والمشاركة في إعداد الأبحاث والكتب، وإعداد أفلام تسجيلية من المادة المجموعة، فضلاً عن إلحاقهم بالورش التدريبية التي كانت تعقدها منظمة اليونسكو للتدريب على استمارات الحصر وقوائم الصون العاجل كل هذا أدى إلى تكوين كوادر من الشباب الواعي والقادر على حفظ التراث وضمان استمرار هذا الأرشيف واستطاعتهم لتدريب آخرين على عمليات الحفظ والأرشفة.
9- يتميز الأرشيف بأنه أرشيف شامل استطاع جمع وأرشفة وحفظ كل عناصر التراث الشعبي من أدب شعبي وعادات ومعتقدات وموسيقى وفنون عرض وأداء وأزياء .. إلخ
10- إتاحة الأرشيف للمادة التراثية للطلاب والمبدعين للاستفادة منها في عمل أبحاث ورسائل علمية وأعمال فنية كل هذا له دور مميز في استمرار وتداول العنصر التراثي وحفظه من الضياع أو التشويه.
11- تشير الشواهد الميدانية إلى أن الأرشيف ليس مكان لحفظ وتوثيق التراث فقط ولكنه نموذجًا فى الإسهام التطبيقي لعلم الفولكلور، فوجود مادة أرشيفية بهذا الكم الهائل من المواد التراثية سيساعد في وضع خطط للتنمية المجتمعية الشاملة، ومثال ذلك مشروع الحرف بالتعاون مع مركز تحديث الصناعة حيث تم حصر هذه الحرف وعمل قوائم يمكن الاستفادة منها في التخطيط لصونها وتنميتها.

ب- التوصيات:

1- نشر هذا البحث في الأوساط العلمية المختلفة.

2- حماية الأرشيف مسئولية وطنية، فبعد خوض معارك عديدة وتخطي أزمات كثيرة كانت عائقًا أمام إنشاء أرشيف فولكلور مصري وبعد أن أصبح الحُلم حقيقة واقعة ملموسة أصبح هناك هدفًا أعلى وأسمى وهو الحفاظ على هذا الكيان وضمان استمراريته بنفس القدر الذي بدأ عليه بل وتنميته أيضًا، وبالرغم من الهجوم على المؤسسات الحكومية بما تحويه من روتين يقضي على استمرار أي نجاح إلا أننا بعد هذه الدراسة لمشروع الأرشيف فليس هناك ضامنًا لاستمرار مثل هذا المشروع العظيم سوى إشراف حكومي وضم هذه المؤسسة لمؤسسات أخرى قائمة فعليًا في الدولة وهي جهات مسئولة بوزارة الثقافة والتي تقوم بنفس أعمال الأرشيف مع اختلاف الإمكانيات المتاحة لها فهناك على سبيل المثال مركز دراسات الفنون الشعبية الذي له باع طويل وتاريخ مشرف في عمليات الجمع الميداني وحفظها وتوثيقها ولكنه لم يصل بعد للنقطة التي وصل إليها الأرشيف في استخدام التكنولوجيا الحديثة في الجمع والأرشفة وتدريب الكوادر على مثل هذه الأعمال، ويأتي هذا الاقتراح للشعور بخطر القضاء على مشروع الأرشيف نتيجة اقتراب انتهاء التمويل المخصص للصرف على المشروع وانتهائه.

فلماذا نترك كوادر تم تدريبها وإنفاق مبالغ هائلة على إعدادها لقيادة مثل هذا المشروع وتنميته واستمراريته ونحن بصدد النداء لإقامة أرشيف عربي نجد أنفسنا في طريقنا للقضاء على الحُلم الذي تم تحقيقه والعمل فيه على مدار عشر سنوات، وأقترح من خلال رسالتي أن يتم ضم أرشيف الفولكلور بما يحويه من مادة علمية وأجهزة وكوادر بشرية لأحد المؤسسات الحكومية المسئولة عن جمع وتوثيق المواد التراثية، وهو أمر منوط بوزارة الثقافة، ولا يصح التقاعس عن هذا العمل الوطني.

سادسًا: أهم المراجع

1- أحمد رشدي صالح، مجلة الفنون الشعبية، السنة الرابعة، العدد14، سبتمبر1970.
2- أحمد مرسي، صون التراث الثقافي غير المادي، أرشيف الحياة والمأثورات الشعبية مصر- نموذجًا،المجلس الأعلى للثقافة.
3- أنول باتشيرجى، بحوث العلوم الاجتماعية المبادىء والمناهج والممارسات، ترجمة خالد بن ناصر آل حيان، معهد الإدارة العامة، الرياض المملكة العربية السعودية، ط2، اليازوري، 2015.
4- سعيد المصري، مجلة الفنون الشعبية، العدد54 - 55، يناير – يونيه، 1997.
5- سعيد المصري، إعادة إنتاج التراث الشعبي، كيف يتشبث الفقراء بالحياة في ظل الندرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، 2012.
6- قاعدة بيانات مشروع توثيق وتنمية المأثورات الشعبية.
7- مجموعة من أساتذة قسم الاجتماع بجامعة الإمارات العربية المتحدة، التراث الشعبى ، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع، 1996.
8- محمد الجوهري، علم الفولكلور، دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية، ج1، دار المعرفة الجامعية، 1997.
9- محمد الجوهري، عبدالله الخريجي، طرق البحث الاجتماعي، ط5، القاهرة، 2008.
10- محمد الجوهري، علم الفولكلور، الأسس النظرية والمنهجية، مج 1،القاهرة، 2010.
11- نوال المسيري، مجلة المأثورات الشعبية، وزارة الثقافة والفنون والتراث، إدارة التراث بدولة قطر، عدد80، أكتوبر 2012.
12- الموقع الإلكتروني للأرشيف المصري www.nfn.eg.org
13- http://www.myportail.com/actualites-news-web-2-0.php?id=8047

The contribution of folk traditions documentation and development project in the reproduction of folklore Analytical study of some elements of the intangible cultural heritage

Eman Mahmoud Mohamed Essa
Girls College - Sociology Department - Anthropology and Folklore Division Ain Shams University
emanessa890@gamil.com

Abstract

In the light of the numerous attempts to establish an archive of Egyptian folklore, which was associated with the experience of Both Rushdi Saleh and AbdelHamid Younis, Rushdie Saleh has been interested since his supervision of the Center for Popular Arts Studies in Cairo in 1958 to provide an integrated scientific vision establishment of the Institute of Popular Arts. This idea is also not complete.

Asaad Nadim and Ahmed Morsi were able to work on the establishment of an archive of Egyptian folklore based on scientific and methodological foundations and the project was implemented and met with tremendous success since its inception in 2007 until now in 2020, and work continues.

This research is part of a PhD thesis entitled: Fertility and Childbearing in Popular Belief, an evaluation study of the project for documenting and developing folklore, and the current research deals with the archive as a tool to reproduce heritage through several basic processes: folklore groups and heritage reproduction, and the reproduction of material folk elements , Mass media, heritage reproduction, folk art, heritage reproduction.

Keywords:-

Archive - Reproduction - Quotation - Ppular Heritage.